وقف مركز مكة العالمي للهداية القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

بناء القيم الإنسانية من خلال الهدايات القرآنية

اسم الباحث/ـة

د/ دنيا الرامي

وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
هدى الناس
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد:

من نعم المولى عز وجل نعمة الخلق والإيجاد بعد العدم، خلق الله أبا البشر آدم عليه السلام بيده الكريمة من طين، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأمر الملائكة بالسجود له زيادة في التشريف والتكريم، وأثبت له حسن الخلق قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤].

وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، ثم ذكر مراحل تطوره وقصة نزوله إلى الأرض، وتناسله بعد ذلك و الهدف والغاية التي لأجلها خلقه، ثم من عليه بنعمة أخرى أكبر من ذلك وهي نعمة الهداية والإرشاد التي اختص بها عباده المؤمنين المتقين وأولياءه الصالحين، فمن سلك منهج القرآن العظيم قاده برحمته وهدايته إلى جنات النعيم.

فلذلك كانت معرفة الغاية والحكمة التي من أجلها خلق الإنسان مطلباً أساسياً في بناء السلوك وتزكية النفس وإعمار الأرض.

أهمية الموضوع:

– يحاول هذا البحث أن يساهم في تجديد بناء الانسان الحضاري المستخلف في الأرض المحقق للعمران بهدى القرآن، من خلال وصايا لقمان لابنه، لأجل تحقيق أهمية إنسانية الإنسان القائمة على التوحيد.

–يهدف هذا البحث إلى الكشف عن بناء الانسان في القرآن لكونه رمز الخلافة التعبدية لله الحامل لأمانة التكليف الرسالي في الأرض كما أراده الله عز وجل.

إشكالية البحث:

ـ كيف يمكن الانبعاث من جديد في ظل ما تعانيه المجتمعات البشرية من اضطرابات نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية وأخلاقية، بسبب طغيان الحياة المادية.

ـ كيف تبوأ التوحيد في القرآن المكي هذه المنزلة العظيمة التي ساهمت في بناء الرعيل الأول فأثر في تفكيره وتحديد هويته ومهمته وغايته في الأرض.

أهداف البحث:

الكشف عن هدايات القرآن في **"وصايا لقمان لابنه"** لبناء الإنسان من خلال هذه الوصايا، مع فهم واستيعاب الهدايات القرآنية المتعلقة بالقيم لبناء الإنسان الحضاري.

المنهج المتبع في البحث:

اعتمدت المنهج التحليلي الاستقرائي وذلك بالنظر في المصادر والمراجع والمقالات المتخصصة في طرح الموضوع وتحليل معانيها واستنباط الأفكار منها عبر الجمع والترتيب والفهم.

خطة البحث:

يتضمن البحث مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: منهج القرآن في بناء القيم

المطلب الأول: تعريف القيم الإنسانية

المطلب الثاني: دور القيم في بناء الإنسان

المبحث الثاني: الهدايات المستنبطة من وصايا لقمان لابنه وأثرها في بناء القيم.

المطلب الأول: الهدايات القرآنية المستنبطة من وصايا لقمان لابنه.

المطلب الثاني: آثر الهدايات القرآنية في بناء القيم.

خاتمة وتشتمل على أهم النتائج.

المبحث الأول: منهج القرآن
في بناء القيم الإنسانية

تمهيد:

يعتبر الإنسان محور هذا الكون وإعادة بنائه جاءت مع بعثة النبي صل الله عليه وسلم، أرسله الله عز وجل لاسترداد إنسانية الإنسان، حيث أهدرت كرامته وحريته فجاء الإسلام ونقله من براثن الاصنام والفواحش والتظلم إلى التوحيد والتطهير، بغية بناء سلوك إنساني جديد، وإنشاء مجتمع حضاري.

لقد اعتنى الإسلام بقضية القيم، وسعى في بناء الإنسان الواعي المتحرِّر من الجهل والتخلف والتقليد الأعمى قبل بناء الدولة، لذلك تعد القيم الإنسانية من أهم مقومات الحياة البشرية.

وجاءت الشريعة الإسلامية بكل ما ينفع هذا الإنسان في حياته وبعد مماته، باعتباره مخلوق مكلف مسؤول، كرمه الله بنعمة العقل وجعله مناطاً للأمر والتكليف، فدعاه إلى التأمل والتفكر والتعقل والنظر في ملكوت الله سبحانه وتعالى، فنجد أن مهمة القرآن هي بناء الإنسان وتجهيزه بكل الوسائل التي تعينه على ذلك من حواس، وعقل، وإدراك.

المطلب الأول: تعريف القيم الإنسانية

التعريف اللغوي: جاء في الصحاح، القِيَمةُ: واحدة القِيَمِ؛ وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، والاستقامة: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر، وقومت الشيء فهو قويم، أي مستقيم [1]، وجاء في لسان العرب: والقائم بالدين: المستمسك به الثابت عليه، وكل من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائم عليه... إنما هو من المواظبة على الدين والقيام به[2].

يتضح لنا مما سبق أن مادة (ق و م) في اللغة قد استعملت لعدة معان منها:

---

[1] منتخب من صحاح الجوهري مادة (ق و م) ص: ٤٣٣١

[2] لسان العرب مادة (قوم) (٥٠١/١٢)

قيمة الشيء، والاعتدال، والاستقامة، والثبات.

أما في الاصطلاح فقد تنوعت تعاريف العلماء لمفهوم القيم: هي "الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني"(١)

وقد أجاز مجمع اللغة المصري الاستعمال المعاصر للقيم بمعنى " الفضائل التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني اعتمادًا على ورود هذا المعنى في قول الجاحظ: «وقوَّمْتُك فعلمتُ قِيمتك، فوجدتك قد ناهزت الكمال» (٢)،

ولما كان وزن الأمة مرتبطًا بما فيها من فضائل صارت لها سجايا ثابتة لا تتغير..."(٣).

فالقيم الإنسانية هي عبارة عن مجموعة من المعتقدات والقواعد المكتسبة التي توجه وتحدد سلوك الفرد اتجاه نفسه ومجتمعه.

المطلب الثاني: دور القيم في بناء الإنسان:

الناظر في آيات القرآن الكريم يجد أنه قد اعتنى عناية فائقة ببناء القيم الإنسانية، فتزكية الأمة وتحليتها بالفضائل والأخلاق الكريمة من أعظم المقاصد التي بعث لأجلها النبي صلى الله عليه وسلم، لقوله " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وتعد الوصايا القرآنية التي تحث على التربية بالقيم بمثابة المحرك الأساسي للبناء الإنساني المتكامل روحياً وجسدياً.

فالروح والجسد في " القرآن الكريم ملاك الذات الإنسانية، تتم بهما الحياة ولا تنكر لأحدهما في سبيل الاخر فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخس للجسد حقاً ليوفي حقوق الروح، ولا يجوز أن يبخس للروح حقاً ليوفي حقوق الجسد ولا يحمد منه الإسراف في مرضاة هذا ولا مرضاة ذاك.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة الناشر (١٨٧٨/٣)

(٢) الرسائل الأدبية، للجاحظ، ص: ٨٧

(٣) معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي (٦١١/١)

والروح جعلها المولى جل وعلا من الأمور الغيبية في القرآن الكريم استأثر بعلمها ووهبها للإنسان ليستحق بها مقام التكريم والتشريف، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧ – ١٠] فلا يستقيم سلوك الفرد إلا إذا صلحت سريرته، فتزكية النفس أساس كل خير وفضيلة.

ونجد أن القيم تلعب دوراً أساسياً في ضبط شهوة النفس والتغلب عليها، وتساهم بشكل كبير في تشكيل شخصية الإنسان وفق معيار صحيح، وقد جعل الله عز وجل لهذا الجسد والروح عقلا ليفكر ويتدبر ويتحمل أمانة التكليف، ومن هنا "كان القرآن العظيم وكانت آياته المعجزات المنزلات تخاطب العقل والعاقلين الذين يودون أن يفكروا، وتخاطب النفس فتكشف نوازعها وأهواءها وترشدها إلى طريق الصواب وتحذرها من السقوط والتساقط، وتخاطب الجسد من خلال العقل والنفس لا من خلال ذاته؛ لأنه وحده لا يشكل سوى مادة لا تفقه ولا تفكر ولا تحب ولا تكره ...."[1] فكان ولا بد من تحقيق التوازن بين مطالب الروح وحاجات الجسد.

فحفظ النفس وصيانتها لا يتأتى إلا بالثبات على القيم والمبادئ التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، لذلك حثنا الشارع الحنيف على تربية النفس وتزكيتها وحفظها من كل مكروه وربطها بالخالق وحذرنا من أكل الحرام وتعذيب النفس أو قتلها بتحريم الانتحار، لأن هذا ينافي المقصد العظيم الذي جعله الله غاية الوجود وهو تحقيق العبودية لله، فلا يتم هذا البناء الإنساني إلا بهدي القرآن فمنه المطلق وإليه المنتهى، وبه صلح الجيل الأول حتى ساروا سادة الدنيا وبنوا أعظم الحضارات، وبه ستصلح باقي الأجيال إلى قيام الساعة ولا يتحقق هذا إلا بالتركيز على العناصر التالية:

١- تحقيق القيم الروحية ولا يتم ذلك إلا بالتوحيد الخالص لله.

---

[1] الانسان في ميزان القرآن، ص: ١١

٢-تحقيق القيم الوجدانية وذلك بالإيمان والعمل الصالح، للفوز بالحياة الطيبة الآمنة المطمئنة التي وعد الله بها عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]

٣-تحقيق القيم الاجتماعية بحسن الاستخلاف في الأرض وحفظ الأمانة ليكون العبد فاعلا حضاريا في خلافته لربه وعبادته لخالقه وتعميره وبنائه لأرضه، وأن يكون صالحا في نفسه مصلحا لغيره.

وذلك ليتم البناء وفق مراد الله تعالى، وهذه هي الشخصية المؤمنة التي يريدها القرآن الكريم مبنية على عقيدة إسلامية صحيحة وقيم ثابتة، وأخلاق حميدة، وفضائل سامية، تستطيع أن تنتج وتساهم في بناء الفكر والروح والنفس، تربية وتزكية وفهما، لتجسيد مجتمع إسلامي ذو قيم إنسانية نبيلة.

المبحث الثاني: الهدايات القرآنية وأثرها في بناء الإنسان:

الهدف الأساسي للقرآن الكريم هو تبصير الإنسان بطرق الهداية ودعوته لسلوكها "لما يحويه من أسرار البلاغة والبيان ..... والمعارف السامية والتعاليم العالية في العقائد والعبادات وفي التشريعات المدنية والجنائية والحربية والمالية والحقوق الشخصية والاجتماعية والدولية"(١)، ولأن موضوعه الأساسي هو هداية البشرية إلى المنهج الذي اختاره الله له، وقال تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] بينت الآية أن التمسك بما جاء عن الله في كتابه وعلى لسان رسوله من الهدايات يكون عصمة للمتمسكين به من الضلال في الأفهام والأقوال والأفعال، "والهدى هو العلم بالله تعالى ودينه والعمل بمرضاته وطاعته فهو العلم النافع والعمل الصالح والنصر والقدرة التامة على تنفيذ دينه فالحجة والبيان"(٢)

وبقدر ما تتمسك الأمة الإسلامية بالقرآن الكريم تلاوة وتدبراً وعلماً وعملاً يفتح لها من الخيرات والبركات ؛ لأنه جمع أجل المعاني وأنفعها وأصدقها بأوضح الألفاظ وأيسرها.

المطلب الأول: الهدايات القرآنية المستنبطة من وصايا لقمان لابنه:

تعتبر سورة لقمان من السور المكية وهي نموذج من نماذج الهدى القرآني في مخاطبة العقل البشري، تعالج قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن الحقيقة، وهذا ما تعالجه السور المكية بأساليب شتى ومن زوايا متنوعة، جمعت هذه السورة بين العقيدة والعبادات والأخلاق، فلا بد من التأمل والتدبر والتوقف مع هذه الوصية ؛لأنها من رجل حكيم ناصح مرشد، أوتي الحكمة

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ٨٢/١

(٢) بدائع الفوائد ١٥/٢

من الله فوصيته حكمة لا محالة. وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه الحكمة والحكم في التربية، وسنتطرق في هذا المقال لبعض وصايا لقمان لابنه: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]

يستفاد من هذه الوصية فوائد عظيمة وهدايات جليلة:

١-دلت الآية على أن أول ما يبدأ به في نصح الأبناء والتركيز عليه، هو غرس التوحيد في نفوسهم وإفراد الله تعالى بالعبودية لأنها الأصل، ولا يصير العبد مؤمنا حقا إلا بتحقيق هذه المنزلة.

٢-يؤخذ من الآية مشروعية الوعظ والإرشاد للكبير والصغير والقريب والبعيد،[١] ومنها يأخذ الواعظ والمرشد منهج الدعوة أن يبدأ بإصلاح ذاته وإرشاد نفسه وأهله، ثم يبدأ بدعوة الأهم فالأهم.

٣-في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يَعِظُهُ ﴾ إشارة إلى تلبس ابنه بالإشراك... فإن الوعظ زجرٌ مقترن بتخويف...فتعين أن الزجر هنا عن الإشراك بالله ... وأصل النهي عن الشيء أن يكون حين التلبس بالشيء المنهي عنه أو عند مقاربة التلبس به، والأصل أن لا ينهى عن شيء منتف عن المنهي. [٢]

٤-في الآية تنبيه على أن الموجه والناصح والمعلم والداعية ينبغي أن يعلل الأوامر التي يأمر بها ولا يذكرها من دون تعليل، حتى يقبل كلامه، لماذا لا تشرك بالله؟ لأن الشرك لظلم عظيم، وهذا الظلم يقع عليك وعلى الآخرين، فهذا التعليل من أدب الوعظ والتوجيه وأن لا تعطى الأوامر بدون تعليل[٣].

وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري (٢٤٩/٣)

(٢) التحرير والتنوير (١٩٦/١١)

(٣) ينظر لمسات بيانية (٥٤/٩)

٥-في الآية أمر بالتواضع وذلك بعدم الإعراض عن الناس بالوجه تكبرا وعظمة، دلّ عليه لفظ التصعير، (فأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها، فشبه به الرجل المتكبر على الناس)[١]

٦-في الآية ترسيخ لمبدأ التواضع وعدم الكبر والغرور والتعالي على الناس، لأجل تشكيل مجتمع آمن متكافل متضامن، يسوده التآلف والتراحم، عن أبي ذر قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم " لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"[٢]

٧-في الآية نهى وذم عن الاختيال والفخر والمباهات لما ينتج عنهما من عداوة وبغضاء، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء" [٣]

٨-في الآية إشارة إلى أن صاحب الكبر، والتيه، كما يلقى الكراهية والنفور من الناس، فإنه يلقى البغض من الله، والبعد عن مواقع رضاه.. لأن الكبر مفتاح كل رذيلة، وباب كل شر وضلال.. وما أوتي المشركون الذين تحدوا رسالة الإسلام، وعموا عن مواقع الهدى منها إلا من كبرهم، وعجبهم بأنفسهم، وبما زينت لهم أهواؤهم.[٤]

٩-في الآية إشارة لصفتين مذمومتين يبغضهما الله تعالى ولا يحبهما لما ينتج عنهما من أضرار اجتماعية ونفسية وجسدية وهي التكبر والغرور،

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"...ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله

---

[١] جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٥٩/١٨)

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب استباحة طلاقة الوجه عند اللقاء، رقم (٢٦٢٦) (٢٠٢٦/٤)

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم (٩١) (٩٣/١)

[٤] التفسير القرآني للقرآن (٥٧٣/١١)

إلا رفعه الله" [١]

١٠- أفادت الآية أن الله يحب كل متواضع دلَّ عليه مفهوم المخالفة، لما نفى محبته لكل مختال فخور أثبت بمفهوم المخالفة محبته للمتواضعين ووصف عباده بالتواضع قال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٩].

١١- يؤخذ من الآية مع ما قبلها أن القيم الإنسانية والخلقية تتفق مع فطرة الإنسان في كل عصر، ولكل الأجيال؛ فما أوصى به لقمان في الماضي البعيد أقرَّه الإسلام، ولا زال يقره ويحث عليه في الحياة الدنيا؛ لأنها قيم ثابتة وحية ترتبط بوجود الإنسان وحياته.[٢]

١٢- في الآية مع ما قبلها إشارة إلى أن التواضع مطلوب في كل الأحوال الشخصية والممارسات العامة، من مشي وكلام وحركة وقول وفعل، فهو خلق شامل لسائر العادات والمعاملات.

١٣- في الآية إشارة إلى التوسط والاعتدال في الأقوال والأفعال [٣]، لا إفراط في رفع الصوت ولا تفريط في خفضه بالمرة.

١٤- دلت الآية على أنه ينبغي للإنسان أن يكون مشيه قصداً لا إسراعاً مخلاً، ولا دبيباً متباطئاً، فالإسراع الذي فيه التهور والعجلة والطيش مذموم، والتباطؤ والدبيب أيضا مذموم [٤].

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، رقم (٢٥٨٨) (٤/٢٠٠١)

[٢] التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية (١/٢٠٠)

[٣] ينظر مفاتيح الغيب (٢٥/١٣٢)

[٤] تفسير القرآن الكريم، سورة لقمان، لابن عثيمين، ص: ١١٦

١٥- في الآية دليل على تعريف قبح رفع الصوت في المخاطبة والملاحاة بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية. [١]

١٦- في الآية إشارة إلى كسر حدة الصوت حياء من الناس أن يأتي هذا المنكر وهو رفع الصوت أمامهم، تماماً كما يغض الإنسان بصره عن الأمور المنكرة حياء من الله وحياء من الناس.[٢]

١٧- في الآية توجيه إلى المربين بتعليم أبنائهم وإرشادهم إلى آداب الطريق، وآداب الكلام أثناء التحدث مع الناس.

١٨- في الآية دلالة على ذم رفع الصوت من غير حاجة؛ لأن التشبيه بصوت الحمار يقتضي غاية الذم [٣]، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطانا " [٤]

هذه بعض الهدايات التي تيسر لي جمعها من كتب التفسير تدور حول أية جامعة مانعة شافية كافية في بناء الانسان من الجانب التربوي، فلو علم الانسان الغاية التي خلق لأجلها وما هي وظيفته الأساسية في الحياة لاستقام واعتدل وهذا ما ركز عليه لقمان في وصيته لابنه جمع بين التوجيه والإرشاد والتعليم والبيان مع ما أوتي من الحكمة، فلابد من الحكمة في التربية والتوجيه والنصح.

المطلب الثاني: آثر الهدايات القرآنية في بناء القيم:

أخذ ترسيخ مبدأ الجانب العقدي والجانب السلوكي حيزاً هاماً في القرآن الكريم، كونهما من الجذور الأولى لبناء إنسان متكامل يصل من خلالهما إلى

---

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٢/١٤)

[٢] التفسير القرآني للقرآن (٥٧٤/١١)

[٣] التفسير الوسيط للزحيلي (٢٠٢٨/٣)

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب خبير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، رقم (٣١٢٧) (١٢٠٢/٣)

خالقه بعيداً عن عالم الخرافات والجهل وذلك بمخاطبة فطرته وإعمال عقله، ليتأمل ويتدبر ويصل إلى حقيقة وجوده ومهمته في الحياة.

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق، فربى جيل من الصحابة وبنى الأمة الإسلامية وفتح الأمصار من خلال سلوك أخلاقي لم تشهد له البشرية مثيل.

ونجد في هذه الوصايا التي نحن بصدد الحديث عنها، أن لقمان الحكيم قد رسم لابنه منهجاً متكاملاً لبناء الشخصية السوية وذلك بغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة؛ لأنها هي الاساس ومنها المنطلق وإليها المآل، وتثبيث القيم والمبادئ والأخلاق التي تسمو بالنفس وتزكيها، والمتأمل في هذه الوصايا يجدها تؤدي صلاح الدين والدنيا وتسعى لبناء الإنسان المتكامل، وهي ليست خاصة بلقمان وابنه بل هي هداية الله للعالمين.

"فبناء الإنسان المفكر القادر على التمييز والنظر من أصعب الصناعات التربوية، ولكنها في الوقت ذاته من أهم الصناعات، ومهما كثرت الضغوط على الصحوة الإسلامية، وتزايدت عليها المحن، وتكالب عليها الأعداء، وتشعبت بها دروب العمل، فيجب أن يكون ذلك من أولويات البناء والتكوين، حتى تضمن بفضل الله تعالى بقاءها وصلابتها من جهة، ونقاءها وسلامة توجهها من جهة أخرى.

والعاملون للإسلام لا ينقصهم الصدق والإخلاص، وإنَّما يحتاجون إلى العلم الدقيق بمحكمات الشرع وأصوله،

ليتسنى لهم تنزيلها على مقتضيات العصر. . . لذا كان التحدي الكبير الذي تواجهه الصحوة الإسلامية هو بناء الإنسان المفكر[1].لبناء انسان متكامل فكرياً ونفسياً لابد من الانتماء العقدي الصحيح وذلك بالإيمان بالله عز وجل والارتباط به جملة وتفصيلاً قال تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

[1] بناء الانسان صادر عن مجلة البيان ١١١/٦٨

لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فبفهم القرآن الكريم وتدبره ومعايشة هداياته يستطيع الانسان أن يدرك ماهية وجوده، لأن هذه الهدايات القرآنية مستنبطة من الذكر الحكيم ،أصل الدين ومنبع التشريع ودستور الإسلام ،"أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء وأبان فيه كل هدي وغي فترى كل فن منه يُستمد وعليه يعتمد"[1] قال تعالى: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

نزل القرآن الكريم بهدايات تامة كاملة تفي بحاجات البشر في كل زمان ومكان والبشرية جمعاء لا غنى لها عن هذه الهدايات القرآنية؛ لأنه حق دائم لا ريب فيه. ترشد العباد إلى ما فيه صلاح العاجل والآجل، واضطراب الحياة إنما يرجع إلى تجاهل الناس وإعراضهم عن هذه الهدايات التي جاء بها المولى عز وجل، لإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، والسير على طريق واضح مستقيم لا اعوجاج فيه.

وأعظم ما تحيى به الأمة الإسلامية اليوم وتستنير به في نهضتها هو القرآن الكريم فهو كتاب هداية وإرشاد ومنهج لتقويم حياة الأفراد والجماعات، ولا شك أن المفتاح هو تدبر آياته للوصول إلى هداياته، والوقوف عليها لاستنباط مقاصدها ودلالاتها، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] من تدبر كتاب الله بصدق وإخلاص أدرك هداياته، والعبد دائما وأبداً مفتقر إلى هذه الارشادات والدلالات القرآنية التي ترشده للخير والصلاح في ظاهره وباطنه وجميع أحواله.

---

[1] الإتقان في علوم القرآن (٣٩/١)

خاتمة

١-منهج القرآن الكريم في بناء الانسان المتكامل قائم على الحكمة والموعظة الحسنة.

٢-تمثّل وصايا لقمان لابنه أفضل طرق التربية بالرقة والحنو واللطف والهدوء، والنصح المبني على المودة والرقّة والرأفة.

٣-من سبل الهداية أن يسلك الآباء والمربون مسلك لقمان الحكيم في التنشئة وذلك بغرس العقيدة الصحيحة في النفس قبل كل شيء.

٤-لا بد من تكوين طاقات بشرية وموارد لصناعة الانسان الواعي المتخلق من أجل بناء نهضة الامة الإسلامية.

٥-نزل القرآن الكريم ليعالج الانسان ويعيد بناءه عقدياً وروحياً وفكرياً فلا بد من الخروج من النمطية في التعامل مع القرآن.

٦-غياب المنهج العلمي، وفقدان الضوابط الشرعية في الفهم، أدى إلى القصور والخلل في البناء الإنساني.

٧-النهوض بالأمة لن يكون إلا وفق أسس وقواعد، مبنية على الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

٨-الأمة رغم ازدهارها العلمي والتقني والتكنولوجي أخفقت أن تحقق السعادة للإنسان وأن تبني له قيم ومبادئ فهو في أمس الحاجة إلى الهدايات القرآنية؛ لأنها جامعة لما فيه صلاح الدين والدنيا.

لائحة المصادر والمراجع

١. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، عدد الأجزاء:

٢. بدائع الفوائد المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٤١٦ – ١٩٩٦.

٣. التفسير الوسيط للزحيلي، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى –١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٣ مجلدات.

٤. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء : ٣٠

٥. التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٦. التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، المؤلف: علي علي صبح، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، عدد الأجزاء: ١

٧. الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م

٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جريرا لطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ)، المؤلف: د. يوسف بن حمود الحوشان.

٩. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

١٠. لمسات بيانية لسور القرآن الكريم المؤلف: الدكتور فاضل صالح السامرائي

١١. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، المؤلف: الدكتور أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٢

١٢. مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : ١٣٦٧هـ)الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة : الطبعة الثالثة

١٣. منتخب من صحاح الجوهري، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)

١٤. معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤ (٣ ومجلد للفهارس)

١٥. مفاتيح الغيب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

١٦. الإنسان في ميزان القرآن، المؤلف حسن الباش، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الجماهيرية، طرابلس.

١٧. الرسائل الأدبية، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ١